كلمات

د. أحمد عبدالملك

أَيــامٌ عُمــانيــة

هنالك بلدان تسكنُ في الذاكرة، ليس لمناخها أو بناياتها أو أنهارها وطبيعتها، بل لدفءِ عواطف أهلها. فنحن – كبشر – نتعامل مع الإنسان بإيجابية أكثر مما نتعامل مع الجماد. ومن هذه البلدان (سلطنة عمان) التي حباها الله بالطبيعة وبطيب أهلها ، كما هو الحال مع الطيب واللبان والحلوى.

ومشاعر أهل عمان تجاه القطريين دافئة وعميقة ! ولقد طاف أجداد العمانيين عباب المحيطات، ووصلوا إلى إفريقيا وكوّنوا إمبراطورية كبيرة، ومن دهاليز التاريخ العميقة كانت رحلة أول سفينة عربية وصلت شواطئ الولايات المتحدة هي السفينة (سلطانة) التي وصلت نيويورك في 1840/4/13 ، في عهد سعيد بن سلطان، وكان على متنها سفير (عمان) إلى الولايات المتحدة ومجموعة من الجنسيات الفرنسية، البرتغالية، الإنجليزية، الهندية والإفريقية. كما لا ننسى السفينة (صحار) التي وصلت إلى الصين في العصر الحديث.

ولقد عرف أهل الخليج إخوانهم العمانيين منذ الأربعينيات ، حيث ساهموا في التنمية في هذه البلدان ، وتداخلوا مع عائلات أهل الخليج.

على الصعيد السياسي، لعبت (سلطنة عمان) دورًا محوريًا في مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وكان لها صوتها المُميز والثابت ، دون أن تسمح لأي طرف أن يُهيمن على قرارها السيادي. كما أنها حافظت على استقلالها وسيادتها وقامت بحلِّ قضايا الحدود مع جيرانها بالطرق السلمية ؛ على الرغم مما تعرضت له (السلطنة) من «مؤامرات» من دول الجوار. ولقد لعب جلالة السلطان قابوس بن سعيد ، باني النهضة العمانية الحديثة، دورًا مؤثرًا في تماسك مجلس التعاون، والحفاظ على سيادة الدول فيه، ولم يسمح بالتطاول على سيادات الدول أو الاجتراء على حقوقها، ومن ذلك موقف (السلطنة) المؤثر والمسؤول في قضية حصار دول قطر، وتقديمها تسهيلات جمة في الاتصالات البحرية لنقل البضائع ، بعد أن أغلقت المملكة العربية السعودية حدودها مع دولة قطر اعتبارًا من الخامس من يونيه 2017. ولقد تلاقت الرؤية العمانية مع رؤية حضرة صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني ، بضرورة الحفاظ على مجلس التعاون ورفض هيمنة أي دولة عضو فيه على هذا الكيان.

كما لعبت (سلطنة عمان) دورًا مهمًا في الحفاظ على (مضيق هرمز) ، بعيدًا عن كل التدخلات ، حيث لم يتعرض هذا المنفذ المائي الدولي لأي إغلاق أو إعاقة للملاحة، حتى في حالة الحرب العراقية الإيرانية. ولقد تفاهمت (السلطنة) مع إيران حول هذه المسألة.

واليوم عندما تشاهد (عمان) الحديثة ، تُبهرك الشوارع الفسيحة ، والجبال العالية، والبحر الصافي، وجمال ترتيب المباني ، خصوصًا الوزارات والهيئات الحكومية، لكن ما يثبتُ في الذاكرة هو صفاء سريرة الشعب العماني ، ودفءُ مشاعرهم تجاه الآخر. ولقد جمعتني أيام معرض مسقط للكتاب بمجموعة من المثقفين العمانيين في جلسات امتدت حتى الصباح، والكل فيها يُجمع على ثبات الموقف القطري من آثار الحصار، وأن الشعب العماني مع إخوانهم القطريين فيما يتعرضون له ، ولعل أبلغ عبارة سمعتها من أحد المثقفين في المعرض كانت « اصمدوا ونحن معكم»! وهذا أبلغ تعبير عن رفض الشعب العماني للحصار الجائر على دولة قطر ، بكل حيثياته وتبريراته وكذبه. أحادث صريحة دارت حول العلاقات بين دول التعاون ، ومستقبل مجلس التعاون ، ومآلات الحصار، خصوصًا ما تعلق بتشطير العائلات الخليجية والمساس بالحرمة الإنسانية والدينية.

وفي معرض الكتاب ، كان هنالك حضور ثقافي قطري ملحوظ، وتم الاحتفاء بالفعاليات القطرية التي أقامها الملتقى القطري للمؤلفين، حيث تحدث ثلاثة من القطريين حول تجاربهم الفريدة ، سواء في التصوير الفوتوغرافي ، أم في رحلات الاستكشاف ، أم في تجارب الغوص بدون أكسجين. تمامًا كما هو الحال مع توقيع كتب المؤلفين القطريين الذين لاقوا كل اهتمام واحتفاء من الإعلام العماني. النادي الأدبي كان له دور في استضافة المؤلفين والمبدعين القطريين وتكريمهم. الكل في (عمان) يفتح قلبه لك، ويتوق لأن يقدّم لك أي مساعدة. الوجوه بشوشة، الكلمات صادقة ، والرؤية واقعية لا يمكن خلطها بالعاطفة أو المبالغة.

وفي جلسة ثقافية عند دار النشر وجدتُني مع العماني والكويتي والإماراتي، الكل يرفض هذا التشطير في المجتمع الخليجي، وأن هذا الحصار حالة طارئة لا يمكن أن تؤثر على العلاقات بين الشعوب الخليجية، الكل يدعو لأن تنتهي الأزمة ويشرق صبح جديد في سماء الخليج، كي تسعد الشعوب الخليجية بواقعها وصيرورتها التاريخية، دون زيف السياسة ومآلات المؤامرات التي لا تفيد الشعوب.

حركة فكرية واعية في (عمان) ، وإصدارات قيمة في معرض الكتاب، وبُعد نظر في معالجة القضايا المحلية، ارتكازًا على رؤية جلالة السلطان (قابوس بن سعيد) ، تمامًا كما هو الحال مع محاربة الفساد وبسط العدالة في الشارع العماني.

وما يُميز الشخصية العمانية هو ذاك الهدوء في النبرة، والتواضع الجم، والدفء في المشاعر، وهذه الصفات تفتقدها الكثير من الشعوب ،حتى الأوروبية منها.

إن الموقف المشرف لـ (سلطنة عمان) من حصار دولة قطر لا شكّ عمّق العلاقات الثنائية الرسمية ، والعلاقات الشعبية بين العماني والقطري، وهذا ما يمكن أن تبنى عليه مشاريع مشتركة بين الطرفين ، عبر اتفاقيات واضحة وبعيدة المدى، تعود بالخير والنفع على الطرفين. ومن شأن هذا تعزيز موقف البلدين في التجمعات الإقليمية والدولية، إنصافا للحق والعدل والرخاء ، وسعيًا لدعم السلم والأمن الدوليين، واللذين تم العبث بهما ، بفعل حصار دولة قطر، ما يعد مخالفة صريحة لميثاق الأمم المتحدة، والنظام الأساسي لمجلس التعاون.

أربعة أيام في (عمان) لا تكفي لسبر أغوار تاريخ هذه البلاد، والتمتع بخيراتها وجمال روح أهلها. تودعُك (عمان) على وعد بأن تعود إليها قبل أن تُبارحك أطيابُها ولُبانها وحُسن معشر أهلها.

أستاذ الإعلام المشارك -كلية المجتمع – قطر